عدد ٣٢ السنة الثانية

المنار

١٣١٥

مصر في يوم السبت ١٦ جمادى الاخرة سنة ١٣١٧ الموافق ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٩٩

﴿ فلسفة الحرب الحاضرة ﴾

حكومة صغيرة ينقص عدد رعاياها عن مليون واحد تهضم حقوق دولة عظيمة رعاياها ثلاثمائة مليون أو يزيدون. ثم تنذرها بالحرب ثم تبدأها بالقتال ويكون لها الظفر غير مرة ان هذا لشيء عجاب !! اما هضم الحقوق فهو دعوى بريطانيا العظمى على الترانسفال الصغرى ويقول الساسة من غير الانكليز انه لاذنب للترانسفال الا الاباء من ضيم انكلترا والمحافظة على استقلالهم في جولرها وان الانكليز خلقوا للترنسفاليين ذنباً ليتخذوه حجة لهم امام أوربا على اضطرارهم للايقاع بهم وعدم خروجهم عن سنن التمدن والانسانية في الزامهم باجابة مايطلبون. وان غرض الانكليز الحقيق الاخذ بثار الدكتور جمسون الذي نكل به الترانسفاليون من قبل والتمهيد لمشروع سسل رود في جعل القسم الشرقي من أفريقية مستعمرة انكليزية من رأس الرجاء الصالح الى الاسكندرية. ومهما يكن من الامر فحسب الترانسفال ان معاملتها مع بريطانيا العظمى في السلم والقتال. معاملة الاكفاء والاقتال. الجرائد في الغرب والشرق تصف الانكليز بالطمع والجشع ويرى ساستها انه

ليس لهذه الدولة حجة قيّمة في التعدي على الترانسفال ويقولون ان البريطانيين المقيمين في تلك الجمهورية للتجارة واستخراج المعادن لا يشكون من حكومتها ولا يبالون بحقوق الانتخاب لانهم لا ينوون الاقامة فيها واتخاذها وطناً وان حكومتهم هي التي حملتهم على التبرم والشكوى لتتخذ ذلك ذريعة لمناصبة تلك الجمهورية كما صرح بذلك بعض من عاد الى أوربا منهم في هذه الايام. ونحن نقول ان هذه الحجة الا كسائر الحجج التي تحتج بها الدول الاوربية في فتوحاتها ـ تمويها للمدوان. وارضاء للتمدن بالبهتان. كنشر لواء الحرية. واستبدال التمدن بالهمجية. وابطال الاسترقاق. وتعميم المعارف في الآفاق. اتحد المعنى وتعددت العبارات. والصيد واحد والشباك مختلفات. وانما يعذل الاوربيون بعضهم بعضاً بالخروج عن التعلات المعتادة حسداً من عند أنفسهم للدولة السابقة في ميدان الاستعمار. وما الاستعمار الا فتوح وتغلب بالحيلة والخداع مهما افادا والا فبالحرب والجلاد. وما كانت الحرب غاية يلجأ اليها بعد فراغ جراب الحيل الا لاجل الاقتصاد في المال والرجال. لا كما يقولون انها شفقة على الانسانية. وأدب من آداب المدنية. فقد كان تنكيل الانكليز بدراويش السودان. مما تقشعر له الابدان. ويدل على ان الاوربي لا يرى غير قومه من نوع الانسان. ـ هذا والانكليز أبعد الامم الاوربية من الضراوة بالحرب. وأقربها الى اختيار السلم.

هذا مجمل ما يقال في انتقاد الاوربيين على الانكليز وفي حقيقة امرهم وأما هذه الجرائد الشرقية فهي ترجع صدى اقوالهم وتضيف اليها ما شاءت السياسة من ذم الانكليز وتنكبهم صراط العدالة وانحرافهم عن سنن الفضيلة وأما نحن فنقول ان انكلترا ماجاءت في المدنية أمراً فرياً فان طبيعة الاجتماع

البشري كطبيعة كل موجود حيّ . ألم تر الى كل جسم حي من نبات وحيوان كيف يطلب التغذية من الخارج مادام حياً وما يدخل في بنيته من الغذاء ينميه ويمده في بعض الاطوار ويحفظ عليه وجوده وقوته في طور آخر حتى اذا ماأذن بارئ الكون بانحلاله وعدمه يعجز عن تناول الغذاء الكافي لحفظ وجوده فتفتك فيه عوامل الانحلال حتى يصير الى الفناء والاضمحلال . وقد تتعطل وظائف التغذي في الجسم لعلة عارضة ثم تزول تلك العلة بسبب من الاسباب كالمعالجة العملية فترجع الى الجسم صحته فيعود متغذيا يطلب المدد لقوام حياته من الاجسام الاخرى التي من شأنها ان تكون غذاء له . هذا الذي نشاهده في اشخاص الحيوان والنبات في الادوار الثلاثة ـ النمو والوقوف والانحلال الذي يعقبه الفناء ـ هو بعينه مشاهد في الامم والدول . وهو فيها اضطراري لااختياري وان كانت جزئيات الاعمال تؤتي من الافراد بالاختيار . فليس في طاقة الدولة القوية ذات الامة العزيزة ان تمتنع عن طلب السيادة على غيرها وتوسيع دائرة نفوذها في الامم الضعيفة كما انه لاطاقة للافراد من الانسان وغيره من الاحياء على ترك الغذاء بالمرة لان مصادمة الطبيعة ومقاوتها لابطال عملها مما لايستطيعه الناس . نعم يقدر الانسان على تأخير الغذاء عن وقته او تقديمه عليه ويفضل غذاء على آخر مما في استطاعته تناوله . والترجيح في هاته الاحوال تابع للعلم بالمصلحة والمنفعة ولكنه لايترك الغذاء بالمرة مع الاستطاعة عليه الا لعلة في الجسم او النفس . وكذلك شأن الدول في الفتوح والاستعمار لاتتركهما الا بعلة العجز ولكنها تختار بلاداً على اخرى وقد تتعجل بشيء من ذلك او تؤخره عن الوقت المناسب اذا اقتضت المصلحة ذلك . كما تؤكل الفاكهة قبل بدو صلاحها

والطعام قبل نضجه اما لشدة الجوع واما خشية ان يحال بينها وبين الآكل . وكما يؤكل اللحم قديداً حيث لا يوجد غريضاً طرياً . لاجرم ان تعدي انكلترا على الترانسفال ومحاولة التهامها من الابتسار (أخذ الشيء قبل أوانه) ولكن الشديد القرم يأكل اللحم النيء وربما حملته الضراوة على نهش لحوم الاحياء . لا يرتاب أحد في ان شعب هذه الجمهورية شعب حيّ حافظ لوجوده متمتع بجميع ماتتمتع به الامم الحية من المزايا الصورية والمعنوية . ومن طبيعة الجسم الحي المتمتع بالمزاج المعتدل الصحيح ان يدافع مايعرض لمزاجه ويقاوي مايعدو على حياته ولا يستسلم لعوادي البلاء . ويستهدف لعوامل الفناء . ومن يقول ان طبيعة الاشلاء . كطبيعة أولي القوة من الاحياء ؟؟ فماظهر من كل من انكلترا والترنسفال هو مااقتضته طبيعة عمرانهما فلا لوم على الاولى ولا تثريب . وليس ماجاءت به الثانية بالامر العجيب . وهذا هو ماوعدنا ببيانه في المنار الماضي

يقال ان بين الانسان وبين سائر الاحياء فرقاً فهو يعمل منفرداً ومجتمعاً بالاختيار لا بسائق الفطرة فقط ويوصف بالاعتدال في أعماله ومناشئها من اخلاقه وسجاياه فيمدح . ويرمى بالتفريط أو الافراط في ذلك فيذم . وهو مكلف بان يعدل في تصرفه بالطبيعة ويقف في تحصيل مطالبها عند الحدود المشروعة والمعقولة . واننا نرى الترنسفال في المدافعة أقرب الى الافراط من انكلترا في التعدي والمهاجمة . بل انها هي التي ألجأت انكلترا للحرب باندارها الشديد المعلوم فكأنها هي التي ابتدأت الحرب بل هي التي ابتدأتها حقيقة . نقول ان هذا الكلام صحيح وان حكومة الترنسفال قد تهورت ولكن لها عذراً في التعجل بالحرب لانها علمت ان ذلك واقع ماله من دافع وان الفائدة

في التأخير انما هي لعدوتها حيث تستكمل جمع القوة اللازمة لابادتها . على انها تلام على عدم التساهل في الدفع بالتي هي احسن قبل ان تكتب انكلترا الكتائب وتسوق الجنود الى الحدود . اللهم الا ان تكون على بينة من ان تلك المطالب تعبث باستقلالها فانها حينئذ يصدق فيها قول الشاعر

اذا لم تكن الا الاسنة مركباً * فلا يسع المضطر الا ركوبها

فكيف بها اذا شعرت بأن غاية هذه المطالب محو وجودها القومي وادغامها في المستعمرة الكبرى التي تجدّ بريطانيا العظمى في انشائها وقد تجاوزت في التمهيد لها من الشمال الخرطوم وأم درمان وتعلم (أي الترنسفال) انها هي العقبة الكؤود التي لابد من تمهيدها في الجنوب ؟ أليست جديرة في هذه الحال بأن تتمثل بقول أبي الطيب

واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز ان تعيش جبانا ؟

بلى . الجبن والاستبسال . هما عاملا الفناء والزوال . وعاقبة الشجاعة والاقدام . اما الظفر واما ميتة الكرام . وليس استبسال شعب البوير س واستماتته لاجل الامر الثاني (ميتة الكرام) كما يظن اكثر الناس بل هو يطمع بالظفر بعدوّه ويرجو ان يكون له الغلب عليه لاسباب منها اعجابه بنفسه واستهانته بخصمه لاسيما بعد الظفر بحملة الدكتور جمسون الانكليزي فان البوير س يعتقدون بانفسهم انهم أشجع الخلق وأبسلهم والباسل لا يستبسل . ومنها ان التعليم العسكري عام فيهم ومتى دخل العدوّ بلادهم فانهم يتألبون عليه كباراً وصغاراً نساء ورجالا حتى يظفروا به فيفنوه او يفنوه او يبيدهم عن آخرهم وبمثل هذه المزية تحفظ الشعوب الصغيرة استقلالها وبتركها حلّ الدمار بأقوى الامم وأعظمها ... ومنها ان لهم من ولاية الاورانج الحرة حليفاً وظهيراً . ومنها انهم

مدافعون وخصمهم مهاجم ومنها انهم يتوقعون ان يثور أبناء جنسهم في مستعمرة الرأس على خصمهم اذا لم يبقوا فيها حامية كافية لمنع الثورة. وابقاء الحامية مفرق لقوتهم ومضعف لهم والظاهر ان بريطانيا العظمى على عظمتها انما تقدر على التنكيل بالترنسفال بالمطاولة لا بالمناجزة. ولا عار على امة ان تغلبها أمة يزيد عدد رعاياها على عددها اكثر من ثلاثمائة ضعف. ولها الفخر الاكبر والشرف الأعلى في الشجاعة اذا هي طاولتها في القتال. او كانت الحرب بينهما سجال. فكيف اذا هي ظفرت ولو في بعض الاحوال -

هذا خير مثال للامم الحية والامم التي تعد في الموتى وبه يفهم قول اللورد سالسبري ان الامم الحية تزداد حياة والمائتة تزداد موتاً. ولكننا بيّنا ان الامم التي ظهر فيها الانحلال يجوز ان ترجع الى صحتها بازالة العوارض التي طرأت عليها فغلبت التحليل على التركيب. فعسى ان يكون في كلامنا موعظة وذكرى

(وما يتذكر الا من ينيب)

باب التربية والتعليم

(اميل القرن التاسع عشر)

(٢) من اراسم الى هيلانه في ٦ يناير سنة ١٨٥٠

حدث بالامس بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحا ضباب كثيف غمر الشاطئ كله والعادة في مثل هذه الحالة ان تدق الاجراس ايذاناً بالخطر فلذلك طفقت اجراس القرية القريبة من السجن تطنطن وتيسر لي ان أفهم المقصود من هذه الاشارة. الساحل المحدق بنا ممتلئ بالاخطار لان الرمال المتحركة ومستنقعات الماء الراكد والمد والجزر كلها حبائل تترقب